(فرانسواز ساغان) أسطورة أدبية فرنسية رحلت كامرأة متمردة وحرة

إعداد / المدى الثقافي

تعتبر فرانسواز ساغان أحد أكثر الروائيين الفرنسيين شهرة .وكانت ساغان قد بدأت حياتها الادبية عام ١٩٥٤، عندما نشرت روايتها التي تحمل عنوان (مرحباً ايها الحزن) والتي كانت بمثابة (فضيحة عالمية) على حد تعبيرها هي نفسها.. وعندما اصدرت هذه الرواية قال العديد من النقاد ان (اسطورة ادبية فرنسية قد ولدت) وفي تلك الفترة، فترة الخمسينيات، كان الأدب والفكر الفرنسيين يحتلان موقعاً طليعياً متقدماً على الصعيد العالمي بوجود ادباء ومفكرين كبار من امثال البيركامو ولويس أراغون وجان بول سارتر وسيمون دوبوفوار. التي نالت سنة اصدار رواية (مرحبا ايها الحزن) جائزة الجونكور الادبية الشهيرة - واندريه مالرو.. وغيرهم. كانت ساغان من مواليد ٢١ يونيو عام ١٩٣٥ . اليوم نفسه الذي شهد ولادة جان بول سارتر .ان شهرة (فرانسواز ساغان) كانت مبكرة اكثر اذ انها اصدرت وعمرها لم يبلغ العشرين بعد (مرحباً ايها الحزن)، وبعد عامين فقط من تقديمها امتحان الشهادة الثانوية .لقد امضت فرانسواز ساغان . الطالبة . اربع ساعات في تقدم اجابتها، وترجمت الكاتبة والانسانة هذه المقولة في سيرة حياتها وأدبها، وما كتبته في امتحان (البكالوريا) ذاك عام ١٩٥٢ كان بمثابة (خطة) لحياتها.. ولكن احياناً مع استبدال تعبير (تراجيديا) بتعبير (كوميديا)، المأساة والملهاة.. ان التعريف الأقصر ان ساغان كانت امرأة متمردة وحرة.

لقد قوبلت ساغان . كما تشير سيرتها . بالكثير من (الحقد) احيانا من قبل النقاد الذين لم يستطيعوا ان (يتحملوا) كل ذلك القدر من الشباب والنجاح والموهبة والشهرة والمال وسهولة العيش لفتاة كانت في العشرين فقط عندما حققت ذلك كله.. وقد قيل عنها بانها كانت شبيهة بـ (فأرة صغيرة).. لكنها اثبتت في الواقع، ومنذ البداية، بانها كانت سيدة (عظيمة) وكاتبة (مرموقة) وليست مجرد (مراهقة تافهة).. وقد عاشت (فرانسواز ساغان) ما كانت تفكر به.. وارفقت العمل بالفكر ولعل هذا ما يشكل (عبقرية) هذه الاسطورة الاستثنائية.

وكانت (فرانسواز ساغان) قد حققت نجاحاً دولياً كبيراً بحيث ان الولايات المتحدة الاميركية قد هيأت لها استقبالاً وكأنها (ملكة) عند زيارتها الاولى لها عندما كانت في (عز شبابها).. ومن هنا لم تكن بحاجة لجائزة ادبية مثل (الجونكور) او لثناء النقاد عليها كي تنال الشهرة. وقد سمحت فرانسواز ساغان لنفسها بفعل كل ما خطر لها على بال.. اذ انها اختارت اسمها المستعار من روايات (مرسيل بروست) وحيث لم تخف ابداً اعجابها بعمله الكبير (البحث عن الزمن الضائع).. وقد كتبت ايضا المسرح ومارست العمل الصحفي ولكنها بقيت (روائية) قبل اي شيء آخر. وعرفت صداقات عديدة ليس أقلها شهرة معرفتها (الحميمة) بـ(جيمس دين)، الممثل الاميركي المعروف.. وهذا ما دعا البعض الى اعتبارها (بريجيت باردو) الأدب، ان فرانسواز ساغان كانت احد أهم الوجوه الادبية . النجوم الادبية . الذين عرفهم الأدب الفرنسي خلال القرن العشرين.. النجم، الاخر تمثل بجان بول سارتر: ولم يكن ادب (فرانسواز ساغان) هو وحده الذي اثار اهتمام معاصريها.. وانما ايضاً حياتها التي اراد العديد التنقيب في خباياها، وكأنه (لا يحق لها ان تخفي شيئاً). وهكذا كان عنوان كل كتاب من كتبها مجالاً للبحث عمن هو المعني.. لذلك (اشتغلت) باريس (الادبية) كلها بعد صدور (هل تحبين براهمز؟) بمن هو (براهمز) هذا؟ وقد قيل عنها بأنها تمتلك (ألف وجه) وأكثر من (حياة).

العديد من النقاد اعتبروا بأن فرانسواز ساغان تكرر نفسها في جميع اعمالها.. بل وان كتابتها (تتردى) من عمل لآخر.. تجدر الاشارة هنا الى ان روايتها الاولى (مرحبا ايها الحزن) بقيت من بين الأكثر، بل الاكثر شهرة من بين اعمالها.. لكن هذا لا يمنع واقع ان النص المسرحي الذي كتبته تحت عنوان (قصر في السويد) قد أثار هو الاخر الكثير من الاهتمام و(الضجة) حوله.. وضمن هذا الاطار شاع رأي يقول بأن شهرة (فرانسواز ساغان) قد اكتملت و(تجمدت) ضمن الفترة الزمنية الواقعة بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٠.. اي في الفترة التي كان عمرها يتراوح فيها بين ١٩ و٢٥ سنة.. وهي تشابه من هذه الزاوية الشهرة التي عرفها الشاعر الكبير (ارثور رامبو) في السن نفسه تقريباً.. ويميل البعض الى القول بأن الشهرة المبكرة (أفسدت) فرانسواز ساغان التي اتجهت نحو تعاطي المخدرات وقامت بتبذير الاموال الطائلة التي جنتها من عشرات الآلاف من النسخ التي وصلتها (مبيعات) اعمالها.. وقد وصل تبذيرها إلى درجة ان العديد من (الشيكات) المصرفية التي حررتها رفضتها البنوك لأنها دون رصيد.. وتشير الاحصائيات المقدمة في هذا الاطار بأن ما كسبته فرانسواز ساغان من اعمالها خلال سنوات ١٩٥٤ . ١٩٦٦ هو حوالي (٥٠٠) مليون فرنك فرنسي.

وصلت ساغان الى قمة (نجوميتها) عندما بلغت سن الثلاثين.. كان ذلك عام ١٩٦٥ وكانت تملك آنذاك كل ما يمكن ان (يحلم) به (شاب) او (شابة).. لقد كان حسابها المصرفي يقارب ما يملكه نجوم السينما وسيارة (جاكوار) فخمة أضافة إلى (زواجين) و(طلاقين).. وابن وست روايات واربعة نصوص مسرحية.. وأهل رائعين وحفنة من الاصدقاء المخلصين.. لقد كانت تمتلك (احساساً بالاستقرار الذهني الذي لم تكن زعزعته ممكنة حتى آنذاك) كما تقول هي نفسها. لكن الى جانب هذا كله ايضاً تعرضت في تلك الفترة لـ(حادث سير) كما كانت قد بدأت فترة (استجمام) من المخدرات.

لقد تردت بعد ذلك الاوضاع المعاشية لـ (فرانسواز ساغان) من جميع النواحي وبدأت فكرة (الزوال) تنطرح امامها. تقول: (لقد تعودت شيئاً فشيئاً على فكرة الموت وكأنها فكرة مسطحة..). ولكنها لاتزال تعيش و(تشغل) الناس.. وليس أدل على ذلك من واقع ان الاسابيع الأخيرة المنصرمة قد عرفت صدور ثلاثة كتب (دفعة واحدة) وموضوعها واحد هو (سيرة حياة فرانسواز ساغان).

ولايزال الشباب يقرأون حتى اليوم (مرحباً ايها الحزن) و(هل تحبين براهمز؟).. وكأنها لاتزال تتحدى حتى (الموت) قبل أن يختطفها أخيراً.

رحيل فرانسواز ساغان

صباح الخير.. (أيها الموت)!

شاكر نوري

في عام ١٩٥٤، فاجأت فرانسواز ساغان الوسط الأدبي، بل والعالم بروايتها " صباح الخير.. أيها الحزن "... هذا الحزن الذي لازمها طيلة حياتها حتى انطفأت في يوم ٢٤ من ايلول ٢٠٠٤ عن عمر يناهز ٦٩ عاما في مستشفى هونفلور بعد مرور نصف قرن على صدور روايتها الصاعقة. وقد ذاع صيتها باعتبارها تتمتع بشباب دائم، ويعود ذلك لأنها كتبت روايتها الشهيرة في سبعة أسابيع، ولم تغادرها الشهرة منذ ذلك الوقت. ففي عمر الـ ١٨ عاما عرفت مجدها الأدبي الذي لصق بها حتى اللحظة الأخيرة. وقد تعدى هذا النجاح حدود أوروبا القديمة ليصل إلى الولايات المتحدة الأميركية التي استقبلتها وكأنها (ملكة) عند زيارتها الأولى.

ما هي حكاية رواية (صباح الخير.. أيها الحزن) ؟

كانت روايتها (صباح الخير.. أيها الحزن) بمثابة ؟فضيحة عالمية؟ على حد تعبيرها.. وتوجتها إلى القمة الأدبية بحيث اعترف النقاد بأن ؟أسطورة أدبية فرنسية قد وُلدت؟ في فترة الخمسينيات التي كان الأدب والفكر الفرنسيان يحتلان موقعاً طليعياً متقدماً على الصعيد العالمي بوجود أدباء ومفكرين كبار من أمثال البير كامو ولويس أراغون وجان بول سارتر وسيمون دوبوفوار.

فرانسواز ساغان أديبة من نوع مختلف، عرفت بسرعة كيف تقيم عالمها الخاص، وأسلوبها، ووجدت جمهورا واسعا، ولم تزعج يوما أحدا وعلى الخصوص آلاف القراء عندما كتبت:

(على ذلك الإحساس المجهول.. أتردد في إطلاق الاسم الجميل والخطير لـ (الحزن).. الضمير هو إحساس كامل، وأناني إلى حد يعتريني الخجل منه، بينما يبدو الحزن بالنسبة لي جديرا بالتكريم. لم أكن أعرف الحزن. ولكن فقط الضمير والندم، وفي أحيان نادرة، الحب. واليوم، هناك شيء ما ينثني فوقي، مثل غطاء من الحرير الناعم والمثير للغضب، ويفصلني عن الآخرين). هذا مطلع كتاب الرواية التي لم تكن لتأتي بتلك القوة والجمال من دون (بروست) ومن دون (بلزاك).. واعتباراً من هذه الجملة بدا أن لهجة جديدة وشباباً جديداً وعالماً جديداً يرتسم عبر قلم صاحبتها.. وأصبح في فترة وجيزة الكتاب الأكثر مبيعا في فرنسا عام ١٩٥٤، وتحتوي الرواية على أهم الأفكار والموضوعات العزيزة على قلب المؤلفة "الحياة الضريبة، السيارات السريعة، الفيلل البرجوازية، الشمس، ومشاعر العطب واللامبالاة والعبث..

تدور الرواية حول فتاة تدعى سيسيل، وهي مراهقة هادئة، تمضي طفولتها في المدرسة الداخلية. وتعيش منذ عامين حياة متحررة مع أبيها رايموند، وهو أرمل يشارف على الأربعين من عمره. واعتادت سيسيل على عشيقات والدها بكل سهولة. وفي ذلك الصيف، يرحل والدها وعشيقته، الزا، وهي في الـ ١٧ من عمرها، لقضاء العطلة على الساحل اللازوردي في جنوب فرنسا. كما يدعو رايموند الأب "آن"، وهي امرأة جذابة، كانت صديقة لزوجته المطلقة. وسرعان ما تأخذ " آن " حياة سيسيل في يدها وتجد لها عملا، وهي التي لم تنجح في امتحان البكالوريا في ذلك العام. و"آن" تنظر بعين ناقدة إلى مغامرات سيسيل مع سيريل، وهو طالب يقضي عطلته في تلك المنطقة. رايموند يبدأ بالتخلي رويدا رويدا عن الزا ويصبح عشيقا لـ"آن". وقرر أن يغير حياته ويفكر بالزواج منها، ولذلك تتخوف سيسيل من فقدان حريتها لأن حضور هذه المرأة الذكية والهادئة سيزعزع وجودها الرائع. لذلك بدأت تعمل، بسبب غيرتها على دفع صديقها سيريل إلى أن يخوض مغامرة غرامية مع الزا من إثارة مشاعر أبيها. وهذا ما سبب استفزازا كبيرا له بحيث لم يعد يتحمل هذا الاستفزاز. وينزعج كثيرا من مغامرة الزا مع شاب مراهق أكبر من ابنتها قليلا، حيث سرعان ما يعود إلى أحضان حبيبته القديمة. تفاجئهما " آن "عن طريق الصدفة. ومن يأسها تهرب من أب البطلة لكنها تلقى حتفها في حادث سير. سيسيل وأبوها يعودان إلى حياتهما العادية الهادئة لكن الفتاة المراهقة تكتشف مشاعر جديدة وهي: الحزن. تقول في الرواية "عندما أكون وحيدة في سريري، في الفجر، مع الصوت الوحيد لصخب السيارات في باريس، تخونني ذكرياتي، ويعود الصيف ومعه جميع ذكرياتي. آن... آن ! أقوم بتكرار هذا الاسم بصوت منخفض مع نفسي في ظلام الليل. شيء ما يصعد في أعماقي وأنا استقبل هذا الاسم مغمضة العينين: صباح الخير.. أيها الحزن". وعلى الغلاف الأخير للرواية كتب الناشر التعليق التالي" كان في صيف ,١٩٥٤ سمعنا لأول مرة الصوت الجاف والسريع لهذه "الوحشة الصغيرة الساحرة". التي ستحدث فضيحة. وقد بدأ النصف الثاني من القرن العشرين. ستكون على صورة المراهقة الممزقة بين عذاب الندم وعبادة الرغبة".

وعلى الرغم من أن فرانسواز ساغان كتبت نحو خمسين كتابا، ومن أبرزها الروايات، إلا أن روايتها الأولى هي التي رسمت مسارها الفني الأدبي. ومن أبرز رواياتها الأخرى: "ابتسامة ما" ١٩٥٦، " في يوم.. في سنة " ١٩٥٧، هل تحب براهامز "١٩٥٩"، حارس القلب " ١٩٦٨، " لا شاماد " ١٩٥٦، " حارس القلب " ١٩٦٨ " قليل من الشمس في الماء البارد " ١٩٦٨، " ضربات زرقاء في القلب " ١٩٧٢، " صورة جانبية مجهولة " ١٩٧٤، " الكلب النائم " ١٩٨٠، " المرأة المعباة " ١٩٨١، " مع أجمل ذكرياتي " ١٩٨٤، " حرب مضجرة " ١٩٨٥ "، " دم من الأكواريل " ١٩٨٧، و " لا ليس " ١٩٨٩، " الهاربون المزيفون " ١٩٩٢، " مع كل محبتي " ١٩٩٣، و " الهم العابر " ١٩٩٤، " المرآة المشروخة " ١٩٩٦ و" وراء الكتف " ١٩٩٨ " ذكريات " وروايات أخرى.

وتتحدث فيها بخفة عن الموضوعات الجادة، مستلهمة إلهامها من تناقض وجودها، بين نشاطها الإبداعي وحياة المجتمع الراقي وكذلك حياة التوحد والعزلة الداخلية. وكانت تقول دائما إن رواياتها تتحدث بشكل أساسي عن العزلة التي تحاول أن تهرب منها. إن أهمية هذه الكاتبة ينبع من روح الحرية التي تميزت فيها فرنسا في سنوات الخمسينيات والستينيات التي احتفت مع الكاتبة، ذات خصلات الشعر الشقراء، وهي تخوض معارك الحرية، بسيجارتها التي تشتعل بين شفتيها الرقيقتين. صورة نموذجية لكاتبة متمردة تميزت ببساطة أسلوبها وقدرتها البارعة على التعبير عن أدق المشاعر الإنسانية وبكثير من الشاعرية.. إلى درجة أن الكثير من النقاد رأوا في كتاباتها شيئاً من روح أشعار (شارل بودلير) أو (بول ايلوار).. وتجدر الإشارة هنا مرة أخرى إلى أنها قد ؟وجدت؟ عناوين رواياتها في أعمال هذين الشاعرين كما لدى ؟بروست؟ او ؟راسين؟.

فرنسا بين سارتر وساغان

ولدت في ٢١ يونيو عام ١٩٣٥ أي في نفس اليوم الذي شهد ولادة جان بول سارتر الذي غير المشهد الفلسفي الفرنسي وهي التي غيرت المشهد الأدبي الفرنسي..

ويؤكد جميع النقاد على أن فرانسوا زسساغان كانت ولا تزال، أحد أهم . النجوم الأدبية . الذين عرفهم الأدب الفرنسي خلال القرن العشرين..

ساغان الطالبة فشلت في اجتياز امتحان البكالوريا في عام ١٩٥١ بعد عام من الانغماس في الاستمتاع بموسيقى الجاز في منطقة سان جيرمان ومن ثم تعرفت هناك على كل من جان بول سارتر وجولييت غريكو وآخرين. وكانت لها صداقات عديدة في عالم الأدب والفن والمسرح من أمثال (جان كوكتو و(روبير فرانك) وكثيرين غيرهما.. فيما بعد.

وقد عرفت باستمرار كيف تثير حولها بسلوكها أو عبر كتاباتها (مخيلة) الآخرين، ومن هنا تحديداً يأتي بعد الأسطورة في شخصيتها عبر مبيعات عدة ملايين من النسخ من رواياتها، من ضمنها مليون نسخة في الولايات المتحدة فقط،وهي التي فتحت لها أبواب الشهرة على مصاريعها. وكل رواية من رواياتها تركت أثرا في الأوساط الأدبية الفرنسية والعالمية بحيث لم تكن تشعر بالطمأنينة لهذا النجاح " أتضايق من هذا النجاح الذي اصبح قرارا سرمديا ". وقد عرفت الكاتبة ثراء كبيرا لكنها كانت تنفق اكثر مما تربح. وتعتبر الكاتبة من أكثر الكتاب قراءة في فرنسا منذ نصف قرن. وقد رسمت من خلال رواياتها الحياة العاطفية المثيرة للبورجوازية وقد نجحت في أن تعثر على " إيقاعاتها الموسيقية الصغيرة " كما يقال بالتعبير الفرنسي، التي يبحث عنها جميع الكتاب والأدباء. وقد قالت عن حرفتها المهنية " لا أعتقد بأنني أحتل مكانة في الأدب لكني أحتل مكانة في النشر دون شك ". يبقى أن روايتها الأولى بقيت من بين الأكثر، بل الأكثر شهرة من بين أعمالها.... وضمن هذا الإطار شاع رأي يقول بأن شهرة فرانسواز ساغان قد اكتملت و (تجمدت) ضمن الفترة الزمنية الواقعة بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٠.. أي في الفترة التي كان عمرها يتراوح فيها بين ١٩ و٢٥ سنة.. وهي تشابه من هذه الزاوية الشهرة التي عرفها الشاعر الكبير (ارثور رامبو) في السن نفسه تقريباً.. ويميل البعض إلى القول بأن الشهرة المبكرة (أفسدت) فرانسواز ساغان التي اتجهت نحو تعاطي المخدرات وقامت بتبذير الأموال الطائلة التي جنتها من مبيعات ملايين النسخ. وقد وصل تبذيرها درجة أن العديد من (الشيكات) المصرفية التي حررتها رفضتها البنوك لأنها دون رصيد.. وتشير الإحصائيات المقدمة في هذا الإطار إلى أن ما كسبته فرانسواز ساغان من أعمالها خلال سنوات ١٩٥٤ . ١٩٦٦ هو حوالي (٥٠٠) مليون فرنك فرنسي.

وإذا كانت شخصيات روايات (ساغان)، تعطي لقرائها الانطباع بأنها حقيقية، فإن السبب يعود إلى أنها شخصيات أصلية أمسكت بها لكنها عرفت كيف تصقلها بمهارتها الروائية. وقيل عن (ساغان) أنها لا تجيد التحدث إلا عن عالم واحد، وإن الأحداث في حياتها كانت بحثية وعديمة الجدوى، ولا تحصل إلا لأشخاص يعانون العقم الداخلي، لكن العكس كان هو الصحيح، لأن مثل هذه الأحداث أو مثل هذه العبثية، هي عالمية، تلامسنا جميعا.

الإنسان... طريدتي الوحيدة

يمكن القول أن فرانسواز ساغان لم تكمل شيئا في حياتها بل كانت تترك الأشياء على أنصافها. وهي تتميز بالكرم والتمرد والسرعة وعدم خضوعها لأي تصنيف ولا يمكن تقليدها. ومن النادر أن يكون يحصل كاتب مثلها على كل هذا التعاطف. فإننا نحب ساغان حتى لو لم نقرا كتبها لأننا، أي جمهور القراء، وعلى الخصوص في فرنسا، نفهم ما عاشته هذه الكاتبة من اضطرابات في حياتها. وساغان هي أكثر من مجرد كاتبة، بل هي ظاهرة نشر خارقة، كاتبة وامرأة وتاريخ ومرحلة، سنوات الخمسينيات وما يعقبها، من ثورة ويأس وتمرد وأناقة ورهافة حس والتزام وحرية. فقد قطعت شوطا مهما في الأدب دون أن تأخذ ذلك على محمل الجد. إنها لا تقدس الأدب ولا نصوصها. وكان لها نظرة متواضعة عن نفسها بشكل مثير للإعجاب. فقد عانقت عصرها دون أن تتنازل أو تقدم مساومات له. كانت مفرطة في كل شيء، في الرغبات والملابس والديون. ولم تكن تطلق على الأموال هذه التسمية بل " القروش ". ولم تكن تعرف الادخار، ففي حياتها كما في رواياتها فان السجائر مصنوعة من أجل التدخين، والخمر من أجل أن تشرب، والمخدرات من أجل أن تستهلك، والسيارات الرياضية من أجل أن تقاد بسرعة، إنها متسكعة ولكنها بروح برجوازية، وكانت تتنقل كثيرا، بين الشقق والفنادق.

ومن أفكارها تقول ساغان " اكتشفت بأن الإنسان هو طريدتي الوحيدة التي لا أستطيع الوصول إليها، ولكني اعتقد بأنني، ربما، لامست إحدى لحظات السعادة التي تمنح موهبة الكتابة ". وساغان كما يقول أحد النقاد بندقية صيد عجيبة، تمنح نفسها بكل سعادة وفرح إلى هذا الصيد. والكائن البشري لساغان هو " شيطان مسكين "، يريد نسيان عزلته طيلة حياته بل ويريد تجاهلها، من خلال مشاركته مع كائن آخر. جيل كامل قرا رواياتها وبكل اللغات. كان ذلك منذ سنوات الستينيات الماضية. وكانت ؟فرانسواز ساغان؟ كما تقدمها مؤلفة هذا الكتاب، قد وصلت إلى قمة ؟نجوميتها؟ عندما بلغت سن الثلاثين..

رواياتها تشبهان حياتها وشهرتها الخيالية

وهكذا تحولت فرانسواز ساغان إلى رمز لشباب يائس ولا مستقبل له. ذهبت بعيدا في العبث، لكنها كانت تكتب بأسلوب رائع وبرؤية تنغرز في أحاسيس الناس.. لقد فجرت العقل الفرنسي، وهي التي عبرت، كفتاة مراهقة، عن أحاسيسها دون أي تصنيف ولا وجه العائلة البرجوازية التي تنتمي إليها.

كانت تنشر قصصا لا مثيل لها، لكن الواضح أنها كانت متأثرة بأسلوب كتاب وأدباء أمثال ستاندال وفيرجينيا وولف وراسين. إنها دخلت في فوضى هائلة وكتبت الكثير بكل جسدها وروحها.

واحتارت في تحديد النوع الذي يلائمها، لأنها لم تكن قد حددت هويتها وعلاقتها بالعصر، عملت طويلا من أجل العثور على هوية. لم تغير عالمها قيد أنملة، طوال تلك السنوات التي كرستها للكتابة والأدب. ثمة مغامرات ورحلة كبيرة إلى أميركا. بعد ذلك كانت ساغان تذهب إلى (سان . تروبيز)، حيث الأصدقاء وشقيقها، وسيارات أخرى ونكهة أخرى وعاصفة أكثر للحياة.

عاشت خلال تلك الفترة حياة عادية تليق بفتاة مرحة محبوبة. كانت تلعب الورق، وتراهن على خيول السباق. كل شيء كان يسير على ما يرام، إلى أن أتى ذلك اليوم الذي حصل فيه حادث السيارة. لا يعرف أحد كيف عادت من الموت.

الإفلاس في أواخر حياتها

أمضت فرانسواز ساغان أيامها الأخيرة في حزن عميق، لا يعادله إلا روايتها " صباح الخير... أيها الحزن "، فهي امرأة مريضة.. متقدمة في السن.. ومطلوبة للعدالة ولمصلحة الضرائب.. فهي لم تعرف طيلة حياتها سوى لغة الأدب أما لغة الحسابات فكانت غائبة عنها.. فأمام كل ذلك القدر الهائل من الشباب والنجاح والموهبة والشهرة والمال وسهولة العيش لفتاة مراهقة، تحول كل شيء إلى عدم. ولكن هذه الـ(مراهقة التافهة) لم تكن سوى كاتبة مرموقة وعبقرية. ولعل قدرها لم يكن سوى ذلك المحتوم الذي فكرت به طيلة حياتها. لقد تردت بعد ذلك الأوضاع المعاشية من جميع النواحي وبدأت فكرة ؟العدم ؟ تنطرح أمامها تقول: ؟لقد تعودت شيئا فشيئاً على فكرة الموت وكأنها فكرة مسطحة.. ". منذ زمن طويل، تم نسيان كتبها ولم يتبق منها سوى بعض القصص والحكايات التي كان من شانها أن تدعم أسطورتها ككاتبة ومتحررة. وعاشت الكاتبة بين الإدمان على الخمر والمخدرات وحادثة سير في عام ١٩٥٧ وسفرتها إلى كولومبيا مع صديقها الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران، ومحاكمة شركة أيلف النفطية وتهربها من الضرائب حيث اتهمت باستلام ٦١٠ آلاف يورو من اندريه غوليفي، وهو أحد الوسطاء الأساسيين في المجموعة النفطية، وذلك مقابل تدخلها عند الرئيس الراحل ميتران للموافقة على عقد اتفاقيات مع الدول الاشتراكية. فقد صدر حكم بحقها بالسجن عاما مع وقف التنفيذ. وهذا ما أثار حفيظة أصدقائها والمعجبين بها. فقد قال عنها صديقها بيرنار فرانك " أنها مدينة لفرنسا بالأموال ولكن فرنسا مدينة لها بأكثر من الأموال ".

كانت أواخر أيامها صعبة للغاية، فقد وقعت طريحة الفراش مما اضطرها إلى بيع منزلها في النورماندي. وقد ابتعد عنها مقربوها القدماء وقد استضافها بعض الأصدقاء في شارع فوش في باريس. وكثير من أصدقائها رحلوا. كانت تردد في عام ١٩٩٨ " كنت أريد دائما أن أعيش وأكتب. وها أنا ذا أدفع ثمن ذلك ". وقد نجحت الكاتبة في أن تضيف صفة جديدة إلى اللغة الفرنسية وهي " أن تكون ساغانيا " ومعناها أن تشعر بالحنين وتكون فكاهيا و تصبح أجوف بزيف شريطة أن تبقى يقظا ". إذ أنها اختارت اسمها المستعار من روايات (مرسيل بروست) وحيث لم تخف أبدا إعجابها بعمله الكبير (البحث عن الزمن الضائع).. وقد كتبت أيضا المسرح ومارست العمل الصحفي ولكنها بقيت (روائية) قبل أي شيء آخر. المأساة والملهاة.. رسمتا سيرة حياة فرانسواز ساغان باعتبارها امرأة متمردة وحرّة وكاتبة استثنائية تحولت إلى نوع من الأسطورة وخرافة من خرافات الأدب.

توفيت الكاتبة فرانسوا زساغان.

افيك ايبيفي.

عن (لوموند)

توفيت كاتبة " مرحبا ايتها التعاسة" في يوم الجمعة عن عمر ٦٩ عاماً بسبب أنسداد الأوعية الدموية في مستشفى هونفلير..

وصف شبابها بالشباب الابدي، ولكن فرانسوا ساغان ، التي دخلت عمر الثامن عشر بانتصار ادبي مع "مرحبا ايتها التعاسة" جلب لها شهرة نصف قرن لم تخرج منها أبداً. لقد تركت الدنيا في يوم الجمعة عن عمر ٦٩ سنة.

أنها " اخر الوجوديين" ، كتبت " هل تحب براهام؟" او لاشاماد" ، و سجلت فترتها بخمسين من الكتب، اغلبها روايات، يغلب عليها الحوار الخفيف عن المواضيع الخطيرة .

كانت تستلهم من خلال التناقض بين وجودها، و بين الانشطة الكبيرة الخلاقة، والحياة المتكلفة المليئة بالحركة ، و كذلك ايضاً، وحدتها الداخلية الكبيرة . فهي تقول من الناحية الاخرى " ان الكتب تتكلم بشكل اساسي عن الوحدة وعن الطريقة التي تخلصنا من ذلك ، هذا ان وجدت". انها فكرة عن حرية العقل ولكن ايضا حرية فرنسا منذ عام ١٩٦٠ التي اختفت مع الكاتبة، التي تحمل سكارتها في طرفي شفتيها وفي الطريقة السريعة المتقطعة التي كانت الكاتبة تكتب بها .

منذ فترة طويلة ، قد نسينا كتبها لوهلة من اجل ان لا نتذكر سوى التكتل التاريخي الغريب الذي قوى من اسطورتها: ميلها غير المعتدل للكحول، الاستشفاء والعلاج من السموم ، وحادث سيارة خطير في عام ١٩٥٧، ملاهي ، تناول العقاقير المخدرة ، اصابتها في رحلة عام ١٩٨٥، في كولومبيا مع صديقها، وألرئيس فرانسوا ميتران ، والقضية الف، حيث حاول بعضهم ربطها بالجاسوسية، الخ..

مرحباً ايتها التعاسة.. كتبت خلال سبعة اسابيع..

لقد تمت ادانتها بسنة حبس مع ايقاف التنفيذ لانها قد اخفت نقوداً على ضابط شرطة. أثار ذلك رد فعل كبير بين اصدقائها" ومنهم صديقها القديم ، بيرنارد فران" وكذلك المعجبين: " كانت تدينها الدولة بمبالغ مالية ولكن دين فرنسا كان لها اكبر.."

نهاية كانت صعبة ، فهي مريضة منذ فترة طويلة ومحطمة، توجب عليها بيع بيتها النورماندي، والأبتعاد عن العديد من مقربيها القدماء ، لقد آواها اصدقاء لها في شارع فوش، حيث ان الكثير منهم قد وا فتهم المنية.

" لقد تملكتني الرغبة في الحياة و في الكتابة. وقد كنت محظوظة في الحصول على ذلك " كانت تقول ذلك في عام ١٩٩٨، فقد نجحت في نشر مفردة صفة "ساغاني" ، اي ان تكون حنيناً وغريب الأطوار، و متشبثاً بالاحلام و حاد الرؤية .

كانت بنت عائلة طيبة، ولدت في ٢١ حزيران ١٩٣٥ في كاجارك، دخلت فرانسواز كوارئ في المدرسة الدينية ليزوازو في عام ,١٩٤٧ ثم لم تستطع تحمل الجهود تلك، فتركت الشهادة الثانوية في عام ,١٩٥٢ بعد عام كرست نفسها لسماع موسيقى الجاز في سانت جيرمان حيث، ارتبطت لاحقاً بجوليت غريسو ، و جون بول سارتر و آخرين عدة. في حزيران ، ١٩٥٣، كتبت في خمسة اسابيع " مرحباً ايتها التعاسة" التي بيعت عدة ملايين من النسخ، إذ بيعت مليون نسخة في الولايات المتحدة ، وقد فتح ذلك الابواب لشهرتها التي لم تأفل ابداً. لكنها ملت من هذا النصر حيث قالت: " لقد اصبح عندي الكثير من تلك النجاحات الصغيرة ذات الوقع الابدي" . ان البنت الصغيرة التي اختارت اسم مستعار، استلهمته من بروست، و قد ربحت وهي شابة ، الكثير من المال، الذي كانت تصرف منه اكثر من الذي تكسبه ، وبقت على هذا المنوال طول حياتها..

ثم تبع ذلك الكثير من الكتب، كانت كل طبعة جديدة تحوز على اهتمام الصحف و المجتمع، بالرغم من ان اعمالها كان يحكم عليها بالسطحية. هل كان ذلك ثمن نجاحها.؟ ان فرانسوا ساغان، الكاتبة الفرنسية الاكثر مبيعا خلال نصف قرن، لم تتسلم ابدا جائزة كبيرة فرنسية. خلال تلك الفترة كانت ترسم الحياة المشاعرية لبرجوازية عاطلة ، استطاعت ان تجد " اللحن الصغير" المشهور ، ذلك الذي يبحث عنه كل كاتب، اللحن المكون من ضربات المخالب و من غزارة المشاعر، من الحنان ومن الاناقة. ان فرانسوا ساغان، المرآة التي كانت من اليسار، قد تذوقت بسعادة الممارسة المسرحية ، "قصر في السويد" الذي قدم في عمل مسرحي يوازي عملها "مرحبا ايتها التعاسة" بصوره خلاقة. تزوجت مرتين- وكانت تنفصل بسرعة ، تزوجت الناشر غي شولر و الصبي المشهور بوب ويثوف، الذي انجبت منه ابنها ، دونيس .

لوموند ٢٤ ايلول ,٢٠٠٤